الحل الإسلامى للمسألة اليهودية

حلّ الرسول المسألة اليهودية فى الدولة العربية ، بأن أوجد ، لأول مرة ، فى تلك الدولة ، ما يسمى **بأهل الذمة** ، وسمح لهم بأن يظلوا على دينهم ويستغلوا أراضيهم ، وفق ما يأخذ عليهم من شروط . وقضى الرسول على المسألة اليهودية : بأن قضى على فردية اليهود التى كانوا يتيهون بها على العرب ، بأن جعلهم : **رعايا فى الدولة العربية الإسلامية** [1] ، وتمتعوا فيها بالحرية مقابل أداء الجزية والخراج . ولأول مرة يحكم رءوساء اليهود فى شئونهم ، وكان ذلك فى الدولة الإسلامية ، وسمى رئيسهم **رأس الجالوت** ، وكان **البستانى هو أول رأس جالوت تولى شئون اليهود فى العصر الإسلامى** ، وكان موضع تقدير من عمر بن الخطاب [2] .

ويبرز المؤرخ « **ترتون** » تسامح المسلمين مع اليهود ، فيقول : إن **يعقوب بن إسحق الكندى** ، لم تمنعه يهوديته من أن يحترمه المسلمون ويعدونه من الفلاسفة المبرزين حتى قرّبه الخليفة المأمون من مجلسه وصار طبيبه [3] .

---

(١) الخربوطلى ص ٤٥ وجمال سرور قيام الدولة العربية ص ١٢٠

(٢) الخربوطلى ص ٥٧ ويوسف رزق الله نزهة المشتاق ص ١٠١

(٣) الخربوطلى ص ٦١

وفى العصر العباسى الثانى تولّى وظيفة رأس الجالوت ، أو رئيس اليهود ، فى كل البلاد الإسلامية ، **دانيال بن حسدان** ، وكان المسلمون يسمون دانيال « سيدنا ابن داود » ، وكان المسلمون واليهود على السواء يقفون إجلالاً له إذا كانوا بحضرته ، ومن لم يقف له ضُرِب مائة سوط ، وكان يذهب للقاء الخليفة مساء كل خميس ، وإذاك يصيح أمامه الفرسان من اليهود والمسلمين : أفسحوا الطريق لسيدنا ابن داود . وكان دانيال ، إذا جاء إليه الخليفة ، قبّل يديه ، وكان دخله من الضرائب المفروضة على اليهود مائتى ألف دينار [١]

* * *

وكان اليهود يعيشون حياة التسامح فى العصر العباسى [٢] ، وكان معظم الصيارفة وأصحاب المصارف فى الشام من اليهود [٣] . وولّى الخليفة المعتضد المناصب لكثير من اليهود . وكانت لهم مستعمرة كبيرة فى بغداد ، ظلت قائمة حتى سقطت المدينة فى أيدى المغول . ووجد بنيامين التطيلى ، الذى زارها سنة ١١٧٠ م ، أن بها عشر مدارس

---

(١) الخريطى ص ٦٥ والمسعودي : التنبيه ص ١١٣ ، وويل ديورانت قصة الحضارة الجزء الرابع ص ٣٦٦

(٢) دكتور فليب حتى : تاريخ العرب .

(٣) المقدسى .

ربانية ، وثلاثة وعشرين معبداً . وتُرجم العهد القديم إلى العربية فى عهد هارون الرشيد ، وتُرجم مرة أخرى فى عهد الخليفة المتوكل .

* * *

وحاصر الصليبيون القدس سنة ١٠٩٩ م حتى سقطت فى أيديهم ، فتجمع اليهود فى المعبد ، وأحرقهم الصليبيون داخله حتى فنوا عن بكرة أبيهم . وعندما عاد المسلمون إلى القُدس بقيادة صلاح الدين ، كان عهده عهد خير على اليهود . وعندما طردت انجلترا وفرنسا ثلاثمئة من رعاياها اليهود ، رحب بهم الملك العادل أخو صلاح الدين . وكان طبيب صلاح الدين الخاص « الميمونى » يهوديا .

* * *

وازدهرت اليهودية فى عهد الإسلام بشكل لم تعرفه فى أيٍ من بلاد الغرب ، وكانت لها جامعتان فى صور وبومبيديثا ، وتأسست بهما الطريقة الجاونية فى اليهودية . وفى سنة ٧٩٢ صار « **عنان بن داود** » حاخام أكبر على كل يهود المشرق ، ولكن الجامعتين العبريتين رفضتاه فهرب إلى فلسطين ، وأقام معبده الخاص ودعا اليهود إلى نبذ تعاليم التلمود والاكتفاء بالأسفار .

واحتَج عنان على التغييرات التى أحدثها الحاخامات فى الأسفار تبعاً لما يرتأونه من تفسيرات يسقطونها على معانيها ، ومن ثم تسمى أتباعه باسم اليهود القرّائين . من فعل قرأ ، أى أنهم يدعون إلى العودة إلى قراءة الأسفار .

وقال عنان عن **المسيح** أنه من أهل اللّه الذين كانوا يرون نبذ القانون المكتوب لموسى والالتصاق بالقانون الشفاهى للكتبة والفريسيين . وقال عنان عن المسيح إنه لم يكن يرمى إلى إقامة ديانة جديدة ، ولكن إلى تنقية اليهودية وتقويتها .

وانتشر اليهود القرآءون فى فلسطين ومصر وأسبانيا ، ولكن حركتهم ضعفت ، وانتهت فى القرن الثانى عشر ، رغم أنه ما يزال بتركيا وجنوب الروسيا بقاياهم .

وكان من الواضح أن الحركة القرّائية قد تأثرت بالمذاهب الإسلامية فى القرن التاسع ، بينما التزم السُنيّة فى اليهودية بنفس الخطوط الفكرية التى كانت للسنية فى الإسلام . ووسط هذا الجو الفكرى الحر والثّرّ معاً ، قام أول فيلسوف يهودى ، وهو **سعديا بن يوسف الفيومى** الذى ولد بقرية ديلاز من أعمال الفيوم سنة ٨٩٢ ، وتربّى فى مصر ، وتزوج فيها ، وهاجر سنة ٩١٥

إلى فلسطين ثم إلى بابل ، وصار مديراً لجامعة صور ، ثم أخذ يدلى بدلوه فى المعركة بين الشيعة والسُنّة فى اليهودية ، وكان دوره دور المتكلمين فى الإسلام ، وقضى خمسين سنة يكتب بالعربية غالبا ، وكتب « كتاب اللغة » عن النحو العبرى ، وعرّب التوراة ، وعلّق عليها ، وكانت له كتب كثيرة فى الديانة واللاهوت اليهوديين ولم يحد من هذا الازدهار اليهودى إلا اكتساح المغول لبغداد سنة ١٢٥٨ م [١] .

* * *

سارتر والمسألة اليهودية

فى سنة ١٩٤٤ كتب الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر [٢]

---

(١) The Story of Civiliztion : Will Durant, Vol.IV, P.366

(٢) جان بول سارتر : فيلسوف وكاتب فرنسى ، ولد فى باريس سنة ١٩٠٥ ، وهو أشهر كتّاب هذا العصر قاطبة ، وثاني فيلسوف بعد مارتن هيدجر . وسارتر أبو الوجودية الملحدة ،له مسرحيات ترقى إلى مستوى مآسى شكسبير ، وتتساوى مسرحيته الأيدى القذرة مع هملت شكسبير فى الروعة والعظمة المسرحيتين ، وروايته الغثيان تعتبر رائدة الرواية الجديدة ، وهو مبدع أدب المواقف . وعرف سارتر عموما بأنه منشد الحرية فى العالم ، لذلك فقد ناصر كل قضايا الحرية ، ولا ريب أن مناصرته للمسألة اليهودية فى بلاده وأوروبا أمر له مبرراته ومسوغاته ، ولكن فهمه للقضية الفلسطينية تأثر بانحيازه الواضح لليهود . ولم يشفع له أن خصص نصف أحد أعداد مجلته « العصور الحديثة » لكتّاب يدافعون عن القضية الفلسطينية . (الحفنى)

مقالا بعنوان « حول المسألة اليهودية Réflexions sur la question juive » ، وكتب فيه عن موقف اليهود فى فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية . ولنذكر أن سارتر يكتب عن موقف مرتبط بزمن ومكان ولا يكتب عن مشكلة أبدية ، ثم لاحظ كيف هبط مفكر كبير كهذا إلى أن تستهويه الدعاية اليهودية فيرددها بالكامل . والوقائع التى يطرحها سارتر طرحها غيره من قبل ، ولكن كلاً عالجها بطريقته بحيث تاهت الدعاية اليهودية على القارئ ، إلاّ أن سارتر لايخفى الدعاية اليهودية ، ويطرحها كاملة كوجهة نظر له ولسوف نرى ذلك جيداً فى مقاله .

وأسقط سارتر الإحصاءات والتاريخ وتحدث إلى الفرنسيين عن مسألة لا تخصهم ولكنها تخص اليهود ، وقال إن اليهودى اضطهد ومن ثم انصرف إلى احتراف مهن اضطُر إليها ، كأن يشبّه اليهودى بامرأة بغيّ ، لم تجد من يعولها فاحترفت البغاء ، ونسى أنه كان أمامها مئات من المهن ، وأنها باختيارها للبغاء إنما كانت تختار أقرب المهن وأحبّها إلى نفسها .

واليهودى اضطهد – هكذا يقول سارتر – ولكن لماذا اضطهد أصلا ؟

وهو قد احترف الربا فى زعمه مضطراً ، فماذا لو كان الربا اختراعاً يهودياً لم تعرفه المجتمعات القديمة إلا من خلال اليهود ؟ ولقد رأينا أن انجلترا فى القرن الثانى عشر كان نصف المرابين بها من اليهود . وفى مجتمع المدينة لم يكن المرابون سوى يهود .

وينكرسارتر المسألة اليهودية ويقول أنها غير موجودة فى فرنسا لأن اليهود أرادوا الاندماج فى المجتمع الفرنسى ، ولكن توجد مسألة فرنسية لأن المجتمع الفرنسى هو الذى يرفض اليهود .

فماذا عن يهود الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية ؟ ماذا عن رفضهم الانتماء واتجاههم إلى الهجرة ؟ وماذا عن الجنسية المزدوجة لليهودى؟

المجتمع السوفيتى امتصهم لا بوصفهم بشراً ، ولكن بوصفهم المتعين ، أى بوصفهم سوفيت يهوداً ، ومع ذلك رفض اليهود الامتصاص .

ويقول سارتر إن العداء للسامية سمة البورجوازية دون غيرها ، وأنها سمة موروثة مع الثروة والعقارات ، ومن ثم لا تريد البورجوازية أن تفكر لنفسها ، وإنما هى تفكر بعقلية السلف .

وأقول إن سارتر يفكر بعقلية اليهودى ويطرح آراء وأفكاراً يهودية . ويقول إن اليهودى قيمة عالمية لأنه يفكر بطريقة عالمية :

طريقة التاجر العملية . وكل ما قال المفكرون أنه عار اليهودى جعله سارتر عظمة اليهودى .

وينكر سارتر فى فلسفته وجود طبيعة عامة للبشر ، فنحن نولد ثم تتحدد ماهيتنا من بعد ، ومن ثم تتكون لكل منا طبيعة خاصة به ، وبناءً عليه فلا وجود لما يسميه العنصريون صفات عامة لليهود أو الزنوج .

ويقول : إن كل إنسان موضوع فى موقف خاص به ، بمعنى أن الإنسان وحدة تركيبية مع موقفه – وحدة بيولوچية ثقافية اقتصادية سياسية إلخ . واليهودى إنسان يميزه موقفه .

ويقول : إنه لن ينكر أن هناك جنساً يهودياً ، بل أن هناك أجناساً يهودية من جنس واحد ، فيهود الروسيا شقر ، ويهود الجزائر جعد الشعر .

ويقول : إن المعادى للسامية يتقزز من اليهودى دينياً ، مما اضطر اليهودى لاحتراف مهن ملعونة من الكنيسة ، فهو قد جُرِّد من حق امتلاك الأرض الزراعية ، أو العمل فى الجيش ، ومن ثم تاجر في المال ، لأن التجارة فى المال لا يمكن أن يقبلها المسيحى ، وهكذا تدّعمت اللعنة الأولى بلعنة اقتصادية .

فما قول سارتر فى الوضع قبل المسيحية : فى مصر وفى العراق وفى فارس ؟ وما قوله فيما ورد فى الأناجيل عن التجارة فى المعابد والتعامل بالربا حتى اضطر المسيح إلى طرد التجار من المعبد ؟؟

ويدعى سارتر أن المجتمع المسيحى هو الذى خلق مشكلة اليهودى ، وأجبره على مزاولة مهنة التجارة ، فما شأن تعاليم التالمود – أكانت بعد المسيح أم قبله ؟

ويقول سارتر إنه بدلا من أن يسأل المسيحى من هو اليهودى ، كان ينبغى أن يسأل نفسه : ماذا فعلتُ باليهودى ؟

وهكذا يخلط سارتر بين التاريخ وبين الموقف ، ويقع فريسة صريحة للدعاية اليهودية .

ويقول سارتر : إن المعادى للسامية على حق عندما يقول إن اليهودى يأكل ويشرب ويقرأ وينام ويموت كاليهودى . فما هو الشئ الآخر الذى يستطيع أن يفعله ؟

❄ ❄ ❄

ولنتأمل ما يقوله **أرثر ميللر الكاتب اليهودى** ، ففى قصة له بعنوان It Takes a Thief ينظر بطله برنشتين اليهودي إلى شخص يجلس فى مقهى ثم يصيح في زميله أبيللو : أبيللو ! أنظر إلى الرجل هناك . إنه يهودى . أنا أعرفه من طريقته . هذه الطريقة هى طريقة اليهودى !!

ميللر يرى أن اليهودى يهودى ولا يمكن أن يكون إلا يهوديا ، لأن ثقافته لا تلد إلا هذا النمط من السلوك .

لكن سارتر يقول إن السلوك رد فعل للمعاملة المسيحية . سارترأحق وأرق على اليهود من اليهود على أنفسهم !

وفى الوقت الذى يصرفيه اليهود على أن تكون لهم ثقافتهم ويرفضون أى ثقافة أخرى خلاف ثقافتهم ، الأمر الذى يترتب عليه أن يكون لهم سلوك خاص تصنعه هذه الثقافة ، يرى سارتر أن نمط السلوك اليهودي مرده نمط السلوك المسيحى وليس الثقافة اليهودية !

ويرى **شتيكل عالم النفس اليهودى** : أن هناك عقدة نقص يهودية ، ولكن سارتر لا يرى رأى شتيكل اليهودي . سارتر يرى أن اليهودي الذى يريد أن يزيف نفسه ليعيش كالآخرين هو وحده الذى يملك عقدة النقص اليهودية ، ولكن اليهودى الذى يحيا حياته ،

كيهودى ، لا عقدة نقص عنده !

ويـزعم سـارتر أن المعـادى للسـامـيـة ، هـو الذى يخلق المسـألة اليهودية ، وأن الحل الوحيد للمسألة اليهودية هو الاندماج - اندماج اليهود فى مجتمعاتهم - والمعادى للسامية يرفض الاندماج !!

وكأن اليهودى نفسه لا يرفض الاندماج ! فماذا بشأن المهاجرين من الاتحاد السوفيتى وبلدان أوروبا الاشتراكية ؟ هل هناك عداء للسامية مع أن الدولة علمانية وضد الدين ، وخصوصاً الدين المسيحى بالذات ؟

ولا يرى سارتر مع ذلك أن الحل الصهيونى هو الحل الأمثل ، رغم أنه لايرفضه تماماً وصراحة ، ويرفض أن يقوم اليهود بتغيير ثقافتهم ودينهم ، وأن يتوقفوا عن الاختتان . ويقول إن نابليون كان يفكر فى شئ من ذلك . وينكر سارتر على نابليون هذا التفكير ، لأنه تضحية بالفرد اليهودى لمصلحة الجماعة المسيحية، ولا يوجد نظام ديموقراطى يسعى إلى دمج اليهود بهذا الثمن !

ويجد سارتر نفسه فى نهاية المطاف قد وقع صريع الدعاية اليهودية والتحليل الزائف ، فيرجع إلى رأى ماركس ، وهو كثيراً ما يسرق آراء ماركس ، ويُرجع العداء للسامية إلى **نظام الملكية** ، وأنه لولا

وجود المجتمع الطبقى لما وُجِد العداء للسامية .

ما صلة هذا بذاك ... لا أدرى ؟ ولكنه لطش فكرة ماركس ، وأفكار ماركس هى نتائج لاستخدام المنهج الجدلى فى مناقشة القضية . وأما النتيجة النهائية التى يوردها سارتر فغير متفقة مع منهجه ومع مقدماته .

ويقول سارتر إنه إلى أن يقوم مجتمع يتخلص فيه الإنسان من هلوسات العالم القديم الموروثة - مجتمع يقوم على امتلاك وسائل العمل ملكية جماعية ، وينكب فيه الإنسان بكل قلبه على مشروعه ، وهو خلق مملكة الإنسان ، حتى هذا الحين ستظل المشكلة اليهودية بلا حل .

* * *

المسألة اليهودية والنازية

الحزب النازى هو الحزب الاشتراكى الوطنى ، وكانت مبادؤه جمع الألمان فى مختلف أراضى أوروبا وإنشاء ألمانيا الموحدة ، ومشاركة الدولة الألمانية فى ملكية وسائل الإنتاج ، والاشتراك مع الطبقة البورجوازية والقطاع الخاص فى إقامة نظام اقتصادى وطنى يكفل للدولة موارد مالية تنفق منها على خلق جيش قوى وطنى يحقق آمال

الشعب الألمانى فى السيادة ، وآمال البورجوازية فى الغزو والفتح .

ومع أن **أدولف هتلر** مؤسس الرايخ الثالث هو حامل لواء النازية فإنه أخذ الفكرة عن **جورج ريترفون شوينر** مؤسس الحزب القومى لكل ألمانيا .

والدعوة عنصرية ، و لذلك كان صدامها شديداً بدعوة عنصرية أخرى على مستواها تماما ، فهذه تقول بتفوق الجنس الآرى ، وتلك تقول بتفوق الجنس اليهودى .

وكانت دعوة ألمنة (أى جعله ألمانياً محضاً) الاقتصاد ومشاركة الدولة فى الملكية مصادما لدعوة **حرية التجارة والحكومة العالمية** اللتين يقول بهما اليهود . وكان الصدام حتما بين الدعوتين لسيطرة اليهود تماما على الاقتصاد الألمانى ووسائل النشر والمصارف الكبرى .

وكان الحزب القومى الألمانى أول من نحت مصطلح « **اليهودية العالمية وحكومتها الخفية** » ، وهوالذى فضح « **بروتوكولات حكماء صهيون** » ونشرها على العالم أجمع ، وكان كتاب هتلر « **كفاحى** » أول منشورسياسى ينتحل دعوة العداء للسامية . وبدأ نزوح اليهود عن وسط أوروبا إلى بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة .

وكان **جورج ريترفون شوينر** مؤسس الحزب القومى لكل ألمانيا هو الذى فتح نوافذ هتلر الذهنية لخطر اليهود ، وهزت دعوة **كارل كروجر** كيانه من أساسه ، وكان كروجر يطالب بطرد اليهود من كل أوروبا [١] .

وكان هتلر يرى « **أن غريزة حب البقاء وحفظ النوع** » [٢] وراء كل حدث من أحداث التاريخ ، ولكن الشعوب الآرية لم تتفوق على شعوب الأرض بسبب قوة هذه الغريزة ، بقدر ماكان تفوقها بسبب الشكل الخاص الذى تجلّت فيه ، فالرغبة فى الحياة أو حب البقاء نزعة غالبة لدى البشر كلهم ، أما الفروق فهى تظهر فى حيز التطبيق .

يقول هتلر :

« ليس فى عالمنا شعب نمت فيه **غريزة حب البقاء** وتبلورت كالشعب الذى يسمى نفسه « الشعب المختار » ، ولسنا نجد دليلا نسوقه على صحة هذا القول من بقاء هذا الجنس ومحافظته على طابعه وخصائصه ، وهو الذى واجه خلال ألفى عام ظروفا قاسية .

---

(١) The Rise and Fall of the Third Reich by William Shirer,P. 57,

(٢) كفاحى أنولف هتلر ص ١٥

ويقول :

« ولقد رأينا اليهود يدخلون أنوفهم فى قضايا العالم الكبرى ، وكانت لهم يد فى كل ثورة ذات طابع انقلابى » .

ويقول :

« يصفون اليهودى فى أيامنا بأنه ماكر بل داهية ، وقد كان هذا شأنه ، إلى حدما ، فى كل وقت . بيد أن ذكاءه ليس وليد تطور ذاتى أو داخلى ، فقد نما وتطور بفضل نتاج عقول الآخرين ، ولا ننسى أن العقل البشرى نفسه لا يبلغ درجة الازدهاردفعة واحدة ، ففى كل خطوة يخطوها لابد له من الاستناد إلى الأسس التى خلفها له الماضى ، أى إلى معالم الحضارة العامة ، ومن هنا النظرية القائلة إن الفكرة هى وليدة تجارب متراكمة منذ مئات السنين قبل أن تكون ثمرة الاختيار الشخصى . فمستوى الحضارة العامة يزود الفرد بمعلومات أولية يتسلح بها فى محاولته الكشف عن أسرار قَصَّر عن اكتشافها الذين تقدّموه » .

ويقول :

« ليست لليهودى حضارة خاصة به ، فأسس عمله الفكرى مستعارة ، أخذها من الذين أوجدوا الحضارات . ولئن تكن غريزة حب

البقاء عنده أقوى من أى جنس آخر ، فالشرط الأول الذى يجعل من شعب ما شعباً ذا حضارة ، ليس متوفرا فى « الشعب المختار » ، إذ ليس لليهود مثالية ، وذلك أن روح التضحية لا تتعدى عند الشعب اليهودى نطاق « الأنا » . والتضامن الذى يقوم بين اليهود والذى يبدو لنا وثيقاً ليس أكثر من تجمع آنى شبيه بتجمع قطيع من الغنم لمواجهة الخطر المشترك ، أو بتجمع قطيع من الذئاب لمهاجمة الفريسة ، فما أن تنتهى الوليمة حتى يتفرّق المدعوون . واليهودى لا يعرف معنى التضامن إلا فى حالات مماثلة ، فروح التضحية لا تتجلى ما لم يشعر كل فرد بأنه مهدد . والتضامن يصبح واجباً فى حالتين : حيال عدو مشترك أو فريسة مشتركة . فإذا انعدم الحافز تكون الأنانية هى الطابع الغالب ، ويصبح همّ اليهود أن يكيد بعضهم لبعض وأن ينهش بعضهم بعضا .

« وليست للشعب اليهودى إذن حضارة حقيقية خاصة به ، فالحضارة اليهودية ، أو التى تبدو لنا كذلك ، هى ملك شعوب أخرى تلقفها « الشعب المختار » وشوّه أكثر معالمها .

« ولكى ندرك وضع اليهود حيال الحضارة البشرية ينبغى لنا أن نضع نصب أعيننا الحقيقة الآتية : لم يعرف العالم قط شيئا اسمه « **الفن اليهودى** » ، وليس لليهود أى فضل على الفنيْن الأعظمين :

الموسيقى والهندسة . وإنتاجهم فى حقل الفنون ليس سوى نقل أو تقليد أو سرقة ، وليس أدل على صحة هذا القول من تسابق الكتّاب اليهود إلى تعهد الفن الذى لا يتطلب إلا اليسير من الابتكار ، أعنى الفن المسرحى . وحتى فى هذا الحقل يظل اليهودى مقلِدا شأنه شأن القرد ، وهل يُنتَظر ممن يعجز عن الإبداع ، أن يخلقه مجارياً للعباقرة ؟ ولكن الصحافة اليهودية المضلِّلة لا تألو جهداً فى سبيل رفع حثالة الفنانين اليهود إلى مصاف سادةالفن ، فتراها تكيل المديح للمقلدين من أبناء « الشعب المختار » لتدخل فى روع الجمهور أنه أمام عباقرة حقيقيين .

« وليست لليهودى إذن القدرة على الخلق والإبداع ، وليست له بالتالى القدرة المثالية التى بدونها لا يمكن أن يتطور الإنسان ويرتقى . أما ذكاؤه فإنه ينزع دائماً إلى الهدم والتخريب . وفى بعض الحالات النادرة يفعل اليهودى الخير وهو يحسبه شراً فيكون قد ساهم فى خدمة البشرية ، ولكن بالرغم منه .

« ومن الخطأ أن ننظر لليهود نظرتنا إلى قوم من الرُحّل ، لا لشئ إلا لأنهم يفتقرون إلى مملكة ذات حدود معينة ، ولأن العالم لم يعرف شيئاً اسمه « حضارة يهودية » ، فالرُحّل يملكون أرضا ذات تخوم يعيشون عليها بعض الوقت ولكنهم لا يتعهدون الأرض كما يفعل

المزارعون ، بل يعتمدون فى غذائهم على نتاج الماشية . ويملى على الرُحّل هذا الطراز من المعيشة ، كون الأرض التى فيها ينزلون ضئيلة الخصب ، لا تشجّع على الإقامة الدائمة . ولو كان الرحّل من الجماعات المتطورة لاستطاعوا أن يستنبتوا التربة بما تعجز من تلقائها عن إعطائه ، وهو ما فعله الآريون بفضل تكنيكهم المتفوق ، فقد أنشئوا مؤسسات ثابتة واستغلوا أراض واسعة كانت مواتا . ولولا تكنيكهم وعبقريتهم الخلاّقة لظل شأنهم شأن الرحّل لا يقر لهم قرار . ولا ننسى أن الآريين الذين هبطوا أمريكا عاشوا ردحا من الزمن وكأنهم رحّل حقيقيون ، ولكن ما أن أسلست لهم الأرض قيادها حتى بدأوا يتجمعون فى مناطق معينة ، وسرعان ما كانت منشآتهم الثابتة ناطقة بقدرتهم على الخلق .

« ويبدو أن الآريين كانوا فى البدء رُحّلا ، ثم استقروا حيث هم . أما اليهود فليسوا رحّلا ، لأن للرحّل مثالية أو شيئا من جوهر المثالية يجعلهم غير بعيدين عن الآريين ، وإن تكن طبيعتهم غير طبيعة هؤلاء . وإذن فلم يكن اليهود رحّلاً قط ، بل كانوا ولا يزالون طفيليات تزاحم الشعوب على مقومات وجودها ، ولئن هجروا مناطق كانوا قد استوطنوها مئات السنين ، فقد هجروها مرغمين ، **تشيعهم لعنة الشعوب التى هبّت تطردهم بعد أن برمت بهم وبخروجهم**

على آداب الضيافة .

« أين هذا من تنقل الرُحّل الذين يهجرون مكانهم من تلقائهم ؟ إن اليهودى لا يفكر مطلقا فى ترك مكان هو فيه ، وإذا اضطر للانتقال إلى مكان جديد ، فإنه يختار مكانا يؤمّن له أسباب البقاء دون أن يتخلى عن طابعه الخاص ، فهو طفيلى هنا كما كان طفيلياً هناك ، وبديهى أن يكون له حيثما وجد التأثير الذى للنبتة الطفيلية : فحيث يستقر اليهودى لا يلبث الشعب الذى فتح له ذراعيه أن يتلاشى ويضمحل .

« وهكذا عاش اليهود فى كل عصر ومصر . **عاشوا عالة على الشعوب** الأخرى ، وكانوا يؤسسون دولتهم الخاصة ويخفونها خلف قناع من « الجماعة الدينية » ما دامت الظروف لا تسمح لهم بفضح أهدافهم الحقيقية . أما إذا أنسوا من أنفسهم القوة على نزع القناع فإنهم يكشفون عن وجوههم الحقيقية .

« وتقوم علاقة اليهود بالشعوب التى يفعلون فيها فعل الطفيليات بالجسم، على **الكذب والتدجيل** . ألم يقل **شوبنهور** إن « الشعب المختار » هو الأستاذ الأعظم فى فن الكذب ؟ وإقامة اليهود بين الشعوب لا يمكن أن تستمر مالم يتوصلوا إلى إقناع الناس بأنهم

« جماعة دينية » لا أكثر ولا أقل . ولكن هذا الادعاء هو إحدى كذباتهم الكبيرة .

« لم يكن اليهود فى وقت من الأوقات مجرد طائفة دينية لها تقاليدها وطقوسها الخاصة ، بل **كانوا دائما شعباً له خصائصه** ، وقد بحثوا بعد تشردهم عن وسيلة يضللون بها الشعوب فلا تتبرم بـ « ضيوفها » المزعجين ، فما وجدوا أفضل من تقديم أنفسهم بأنهم جماعة دينية لا أكثر ولا أقل ، مع العلم بأن « الشعب المختار » كان فى هذا الحقل ناقلا ومقلدا ومشوها ، وذلك أن اليهود لا يمكنهم أن يؤلفوا منظمة دينية لأنهم لا مثالية لهم ، ولأنهم لا يتطلعون إلى ما وراء عالمنا هذا ، فالتلمود لا يشير بكلمة إلى العالم الآخر .

«إن العقيدة الدينية اليهودية تشتمل على توجيهات بعضها يتعلق بحفظ الدم اليهودى نقيا ، وبعضها الآخر ينظم العلاقات بين اليهودى واليهودى ، والعلاقات بين الشعب المختار « وسائر الشعوب » ، ولكنها لا تنظمها على صعيد أخلاقى . وكما قد يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى ، فهى تعالج المسائل الاقتصادية بنوع خاص ، ولكنها تعالجها وبروح تفضح الدناءة التى فطر عليها اليهود . أما القيمة الروحية للتعاليم الدينية اليهودية فالدروس التى تناولتها بالبحث ، والتى جعلوها متمشية مع أهدافهم ، تعطى عنها فكرة ليست فى مصلحة الديانة

اليهودية . ويعطينا اليهودى نفسه الدليل على بعد ديانته عن الروحانيات ، فحياته تقوم على المادة ، وروحه كانت ولا تزال غريبة عن الروح المسيحية . ولا ريب فى أن مؤسس النصرانية لم يظلم اليهود عندما أبدى فيهم رأيا صريحا . ألم يستخدم السوط فى إخراج عدو البشرية من الهيكل لأن اليهودى كان ولا يزال **يعتبر الدين تجارة** ؟ ولأن المسيح حارب المادية اليهودية صَلَبه اليهود . أليس من المخجل أن يستجدى اليوم الحزب المسيحى فى بلادنا أصوات اليهود فى الانتخابات ، وأن ينظم الدسائس ويحيك المؤامرات ضد الوطنين بالاشتراك مع الحزب اليهودى الملحد ؟ (١) .

« وعلى الكذبة الأولى القائلة إن اليهود ليسوا جنساً بل طائفة أو جماعة دينية قامت سلسلة من الأكاذيب الخطيرة ، مثل كذبتهم فى مسألة اللسان الذى به يتكلمون ، فهو واسطة لإخفاء حقيقة ما يجول فى رءوسهم بدلا من أن يكون واسطة للتعبير عن آرائهم ، فاليهودى إذ يخاطبك بالفرنسية مثلا إنما يفكر كيهودى ، وعندما ينظم الشعر بالألمانية فاعلم أنه يعبر فقط عما يجيش فى صدر شعبه ، واليهودى يظل يتكلم لغات الشعوب مادام مهيض الجناح ، ولكن ما أن يخضعها

---

(١) يقصد الحزب الشيوعى إشارة إلى مؤسسه كارل ماركس اليهودى ، وقيام الشيوعية على رفض الدين . (الحفنى) .

لسيطرته حتى يدعوها إلى التخاطب بلغة عالمية (كالاسبيرانتو مثلا) ليتسنى لليهودية أن تطويهم تحت جناحيها بيسر وسهولة .

« ولقد أظهر « بروتوكول حكماء صهيون » الذى أنكر اليهود وجوده بشدة مغالٍ فيها ، **أن وجود هذا الشعب يرتكز على كذبة دائمة** ، أما تأكيدهم أن البروتوكول مدسوس على اليهود ، فلا يعدو كونه محاولة تضليل استمدوا عناصرها من منجم الكذب اليهودى الذى وضع القواعد التى اشتمل عليها البروتوكول ، فالواضح أن الوثيقة تفضح طبيعة النشاط اليهودى وما يهدف إليه . وهاهى وقائع القرن الماضى والسنوات التى مضت من القرن العشرين تشهد بأن « بروتوكولات حكماء صهيون » قد نفذ بعض ما جاء فيها بدقة وإحكام . أفنعجب والحالة هذه لتصايح الصحافة اليهودية وحرصها على إنكار وجود الوثيقة ؟ إن إحاطة الشعوب بخطط اليهود ومراميهم البعيدة قمينة بالقضاء على الخطر اليهودى قضاء مبرما » .

« ولمعرفة اليهودى حق المعرفة لست أجد طريقة أصلح من تتبع خطاه خلال العصور . ولما كان نموه واحداً فى كل عصر ، وكانت الشعوب التى عاش على حسابها لم تتبدل ، فمثال واحد يكفى لتنوير الأذهان .

« هبطت طلائع اليهود الأرض الجرمانية فى أعقاب الجحافل الرومانية الغازية ، وانتشروا فى البلاد بصفة كونهم **تجارا** ، وخلال الانقلابات التى سببتها الهجرة الواسعة اختفى اليهود فى الظاهر ، ليظهروا من جديد حالما بدأت تتكون الدولة الجرمانية . وفى هذه المرة أيضا ظهروا كتجار ، ولم يهتموا بإخفاء طابعهم المميز لأن سماتهم وجهلهم باللغة كانت تفضح تنافرهم مع مُضيفيهم ، بيد أن كونهم غرباء ويهوداً لم يجر عليهم شيئا من المتاعب ، فالجرمان مضيافون ويعطفون على الغريب أياً كان .

«ولم يمض وقت طويل حتى تسلل اليهود إلى الحياة الاقتصادية ليس كمنتجين بل **كوسطاء** . وقد أهّلتهم براعتهم التجارية والمران الطويل لأن يبزّوا الآريين فى الميدان التجارى حتى **أوشكت التجارة أن تكون وقفاً عليهم** .

« وبدأ اليهودى يقرض الناس المال بفائدة فاحشة ، ولم يكن الآريون قد اعتادوا هذا النوع من القروض ، فلم يتنبهوا إلى خطره إلا بعد فوات الأوان .

« وبعد أن احتكر اليهود التجارة والأعمال المالية ، شغلوا فى المدن أحياء خاصة بهم ، مؤلفين دولة ضمن الدولة . ولكن الفوائد الفاحشة

التى كانوا يتقاضونها أفقدتهم عطف الناس وازداد النفور منهم ، واشتدت النقمة عليهم عندما راحوا يرهنون الأرض الواسعة ويتحكمون فى رقاب مالكيها وفلاحيها تحكماً ألّب عليهم ضحاياهم فى النهاية ، وقد اكتشفوا فى هؤلاء الغرباء طفيليات مزعجة وخطرة .

« وحيال هذه النقمة التى عُبِّر عنها فى بعض المناطق باستخدام العنف فى تأديب المرابين اليهود ، لجأ « الضيوف » إلى الحكام ، واستطاعوا بسحر المال وشتى المغريات استدراجهم إلى تزويد كل يهودى بكتاب يؤمّن له حماية شخصه وثروته ، وهكذا أطلق الحكام للعَلَق أن يمتص دم الضحية ، وعادوا تحت ضغط الرأى العام ، فأخضعوا انتقال الأراضى لقيود ثقيلة وحظروا على المرابين رهنها . وأذعن اليهود أو تظاهروا بالإذعان ، يقيناً منهم أن الحكام سيستنجدون بهم يوم يعوزهم المال ، وقد كان ، وتسلم المرابون مقابل أموالهم وثائق تطلق يدهم فى استثمار رءوس أموالهم وتمنحهم الامتيازات التى يتمتع بها أرباب الإقطاع . أما أموالهم التى دفعوها فقد تنازلوا عنها غير آسفين ، لعلمهم أنهم قادرون على استردادها من جيوب الرعية أضعافاً مضاعفة عن طريق الفائدة المركبة ... وترتب على هذه السياسة عجز **الأمة الألمانية عن التحرر نهائياً من الخطر اليهودى** .

« وفى عهد فريدريك الكبير قامت حركة فكرية ضد زواج اليهود من ألمانيات وزواج الألمان من يهوديات ، وتزعم هذه الحركة **جوته** [1] الذى لم يكن رجعيا ولا قصير النظر . وأيد الشعب الحركة لأنه أدرك منذ زمن بعيد أن اليهود عنصر غريب تغلغل فى كيان الأمة دون أن يتخلى عن طابعه المميز وتقاليده.

« ولم تفت اليهود خطورة الحركة فقرروا الاندماج نهائيا فى الأمة الألمانية دون أن يتخلوا عن خصائصهم ، ولم يكن لهم من الألمانية سوى اللسان الذى اتقنوه مع الزمن . ومتى كانت اللغة قوام الجنسية ؟ هذه الحقيقة لم تفت « الشعب المختار » . ومن هنا كان عدم اهتمامه بالحفاظ على لغته وحرصه الشديد على بقاء دمه نقيا ، لأن الدم هو قوام الجنس . وليس أسهل من تعلم لغة شعب من الشعوب ، ولكن المرء يعبر باللغة الجديدة عن أفكاره القديمة . واليهودى يمكنه إتقان مائة لغة ، ولكنه **يظل يهوديا بتفكيره** .

« ولقد قرر اليهود أن تكون الصبغة الألمانية طابعهم الغالب لأنهم بدأوا يلمسون كراهية الشعب لهم ، وشعروا فى الوقت نفسه بتداعى

---

(١) جوته : (١٧٤٩ – ١٨٣٢) ولفجانج جوته أشهر كاتب وشاعر ألمانى ، وهو مؤلف مأساة الدكتور فاوست وإجمونت ، وعرف عنه حبه للأدب العربى والآداب الشرقية .

نفوذ حماتهم الذين كرههم الشعب لتأييدهم لليهود ضدهم . كما شعروا بالحاجة إلى مرتكز جديد يستندون إليه فى توسيع نطاق نشاطهم الاقتصادى دون أن يترتب على ذلك تفاقم النقمة الشعبية عليهم . فبدأوا بأن طالبوا لأنفسهم بالحقوق المدنية التى يتمتع بها الألمان الحقيقيون ، ثم وزّعوا الأدوار على أنفسهم ، فإلى جانب الذين تسللوا إلى قصور الأمراء وفرضوا أنفسهم مستشارين ورجال بطانة ، راح رفاق لهم يتوددون إلى الشعب ، متظاهرين بالحدب عليه ، ومشاطرتة آلامه والمشاكل التى يعانيها . ولم تكن مهمة هذا الفريق هيّنة ، لأن الشعب ، على طيبة قلبه وضعف ذاكرته لا يطمئن بسهولة إلى الذين استغلوه دون شفقة ، ثم أقبلوا عليه يواسونه ويتفجعون على مصيره .

« وبدأ اليهودى بإيهام الشعب أنه يريد أن يكفّر عن إساءته إليه بأعمال إنسانية خالصة لوجه الله ، ولكنه حرص على إفهام الخاص والعام كم هى جسيمة تضحياته فى سبيل تحسين مستوى الطبقات الكادحة . وما يزال يردد هذه النغمة وينشرها بمختلف وسائل النشر حتى بدأ الناس فى ألمانيا وخارجها يميلون إلى تصديق ادعاءته ، أما الذين ارتابوا فى صدقها فقد اتُهموا بسوء النية وبالتحامل على اليهودى « المسكين » .

« ولم يقف الأمـر عند هذا الحـد ، فـقـد انقلب اليـهـودى بين ليلةوضحاها إلى داعية للتحرر ونصير للحرية ، والتهب غيرة وحماسة ، ولم يلبث حتى حمل راية التقدم ومشى فى طليعة ناشرى الأفكار الجديدة ، إلا أن هذا لم يمنعه من الاستمرار فى تقويض أسس الاقتصاد القومى . وقد تمكن من التسلل إلى حقل الإنتاج عن طريق الشركات المساهمة ، مجرداً بذلك الصناعة الألمانية من الأسس التى تقوم عليها الملكية الفردية . وسرعان ما ترتب على تدخله قيام هوة سحيقة بين أرباب العمل وعمّالهم ، نجم عنها فيما بعد انقسام المجتمع إلى طبقات .

وشدّد اليهودى فى الوقت نفسه قبضته على البورصة مما أتاح له الإشراف المطلق على نشاط الأمة فى كل حقل ، وحرصاً منه على تقوية مركزه فى الدولة عمل جاهداً فى سبيل دكّ الحواجز التى كانت تعوق خطاه .. وكان عليه أن يبدأ بالدعوة إلى التسامح الدينى فاستخدم الماسونية فى تحقيق هذه الغاية ، وكانت الماسونية قد جذبت إلى شراكها الحكام والنبلاء وأقطاب الاقتصاد والبورجوازيين ورجال الفكر ... وفى الوقت نفسه تظاهر اليهود بالتعطش إلى المعرفة ، ولم يضنّوا بالثناء على كل حركة تقدمية ، واختصوا بثنائهم الحركات التى يترتب على نجاحها خراب الآخرين ، أما التى تعود بالنفع على البشر

فقد حاربوها دون هوادة ، لأن بروتوكولات حكماء صهيون قد أوصت بمحاربة كل حضارة حقيقية ، والوقوف فى طريق كل تقدم حقيقى ، لأن هذه وتلك لا يخدمان الأهداف اليهودية ... وأدرك اليهود بثاقب نظرهم أن طبقة العمال الكادحين أو البروليتاريا ، وهى الطبقة الجديدة فى المجتمع التى ظهرت مع الثورة الصناعية ، يمكن أن تغير مجرى التاريخ ، فتقرّبوا منها ، وتبنّوا قضيتها ومفهومها للعمل وشروطه ونتائجه دون أن يتخلوا عن أسلوبهم الرأسمالى .. وسرعان ما أضحى اليهودى [1] قائد الحملة العمالية ، هذه الحملة التى كانت فى الأصل موجهة ضده ، ولكنه عرف كيف يتنصل من كل تبعة ليلقى الوزر على الأبرياء . أجل تبنّى اليهودى قضية البروليتاريا ليحارب بالعمال الناقمين الطبقة البورجوازية ، وكان من قبل قد حارب بالطبقة البورجوازية طبقة الإقطاعيين ، واستند على البورجوازية فى استخلاص الحقوق المدنية من الطبقة الإقطاعية . وراحت الدعاية اليهودية البارعة توجه الحركة العمالية توجيهايتفق وهدف اليهودية الأسمى : السيطرة على العالم [2] .

---

(١) يقصد كارل ماركس زعيم الحركة الماركسية العمالية .

(٢) يقصد دعوة ماركس لتأليف دولة عمالية عالمية.

وبعد أن تم لليهود الإشراف الفعلى على الدولة ، اقتصادياً وسياسياً وفكرياً ، تخلّوا عن تحفظهم التقليدى وكشفوا عما يسميه أئمتهم « **أهداف اليهودية العالمية** ، أو أهداف الصهيونية ، وكفّوا عن الادعاء أنهم جماعة دينية ، ليصارحوا الناس فى كل مكان بأنهم يؤلفون جنساً له طابعه وخصائصه ، وأن مطمحهم القومى هو إنشاء وطن فى فلسطين، لا تكون له معالم الدولة بمفهومها الحديث بل يكون الأرض التى يتطلع إليها اليهود المنتشرون فى كل بلد ، على أنها الملجأ الأخيرالذى إليه يفزعون » .

❄ ❄ ❄

تلك كانت عجالة من كتاب هتلر « كفاحى » وبالطبع كان هتلر يردد ما يجرى به الفكر الألمانى عموما ، ونظريات **جوبينو وتشمبرلين** خصوصاً . وكان فشته الفيلسوف قد وجه خطاباً إلى الأمة الألمانية سنة ١٨٠٧ بعد هزيمتها أمام نابليون فى بينا . وأعلى فشته من قدر الألمان وحطّ من قدر الفرنسيين ، وأسلك اليهود معهم . وجاء **هيجل** سنة ١٨٢٤ أستاذ كارل ماركس ولينين ، ولكنه بعكسهما مجّد الدولة ورأى فيها تجسيداً للفكرة الأخلاقية ، وقال إن فترات السعادة فى العالم هى فترات الخواء ، فترات الاتفاق بدون صراع ، ولكن الحرب نعمة ، لأنها مُطَهِرة ، وهى تُصلح من صحة الشعوب التى يفسدها

طول السلام ، كما يحفظ هبوب العواصف البحر من العطب الذى قد يصاب به لو أنه كان ساجيا ساكنا لمدة طويلة . وحفظ هتلر عن هيجل نظريته فى البطل ، هذا الذى يمتلأ برسالةٍ وإرادةِ روح العالم .

* * *

ثم تعاقب على الجامعة **هاينريش فون تريتشك** حتى سنة ١٨٩٦ ، وظل يدرّس التاريخ ، واشتُهرت محاضراته ، وأمّها الضباط والجنرالات ، وكان تأثيره على الفكر الألمانى فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ضخما ، وظل قويا حتى أيام فلهلم الثانى وأدولف هتلر ، ومع أنه كان ساكسونيا إلا أنه صار من غلاة البروسيين ، وصار بروسياً أكثر من البروسيين . وهو مِثل هيجل مجّد الدولة وجعلها الأسمى ، أما المواطن فلا يهم – « لا يهم ما تفكر فيه طالما أنك تطيع » . وبزّ فون تريتشيك هيجل فجعل الحرب أعلى تعبير للإنسان ، وقال « إن المجد العسكرى هو أساس كل الفضائل السياسية » و« إن الحرب ليست فقط ضرورة عملية ، ولكنها ضرورة نظرية كذلك ، ضرورة يفرضها المنطق » . ويتضمن مفهوم الدولة مفهوم الحرب ، لأن جوهر الدولة هو السلطة . وبشّر الفيلسوف **نيتشه** بمجئ **السوبرمان** ، وصاغ المؤلف الموسيقى الأكبر **فاجنر** أسطورة

الشـــعب الألمانى ، إلا أن ذلك كله لم يكن يعـــدل تأثيـــر **جوبينو وتشمبرلين** .

* * *

وكان جوبينو قد كتب كتاباً ضخماً من أربعة أجزاء ، نشره فى باريس بين سنة ١٨٥٢ وسنة ١٨٥٥ بعنوان " **مقال فى عدم المساواة بين الأجناس البشرية** " (Essai sur l'inégalité des races humaines : Gobineau) وقال إن المسألة الأجناسية هى التى تسيطر على ما عداها من مشاكل التاريخ . وهناك ثلاثة أجناس كبـرى ، وهى الأبيض والأصـفـر والأسـود ، والأبيض هو الأسمى ، ويوضح التاريخ أن كل الحضارة تنبع من الجنس الأبيض ، وأنه لا حضـارة هناك يمكن أن توجد دون مـعـاونة من هذا الجنس . وجوهرة الجنس الأبيض هو الجنس الآرى ، هذه الشجرة المشهورة ، أنبل شجرة فى بستان الجنس الأبيض . وتتبع جوبينو شجرة الجنس الآرى إلى أواسط آسيا .

أما **هوستون تشمبرلين** ، فكان إنجليزياً ، ولكنه تعلم الألمانية وكـتـب بهـا وأتقنهـا ، وعاش فـى ألمانيـا بقـيـة عـمـره ، وتجنّس بالجنسية الألمانية ، وألّف كتابه الأشهر « أسس القرن التاسع عشر

Die Grundlagen des 19 . Jahrhunderts » فى ١٩ شهراً ، ما بين أول إبريل سنة ١٨٩٧ وأكتوبر سنة ١٨٩٨ ، فى فينيا ونشره سنة ١٨٩٩ ، فكان أساس الفكر الألمانى المعادى للسامية ، ولعلنا نستطيع أن نتتبع العداء للسامية إلى أبعد من ذلك ، إلى مؤسس البروتستانتية مارتن لوثر ، فلقد كان هذا المفكر العظيم شديد العداء للسامية ، وشديد التأييد للدعوة للطاعة للسلطة السياسية ، وكان يريد « أن تتخلص ألمانيا من اليهود ، وأن يسلبوا من كل ثرواتهم قبل أن يطردوا ، وأن تحرق معابدهم ومدارسهم ، وأن تدمر منازلهم ، وأن يوضعوا فى الزرائب كالخنازير ، فى البؤس والأسر » .

* * *

الحل السوفيتى للمسألة اليهودية

ورأى الاتحاد السوفيتى فى ٢٨ مارس سنة ١٩٢٨ أن يخصص قطعة من الأرض يستعمرها اليهود السوفييت داخل حدود الاتحاد السوفيتى نفسه ، أى أنه حلّ المسألة اليهودية باستقلال اليهود داخل الدولة السوفيتية ، فاقطعهم منطقة بيرو - بيدجان ، على أمل أن يتجمع فيها يهود الاتحاد السوفيتى كله ، وأن يطوروها بحيث تتمتع بعد ذلك بالحكم الذاتى وتصبح جمهورية سوفيتية يهودية ، ووصف